

نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية

الدكتور محمد سام حسان
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

الاسلام الا بها ، ثم تساعلت هذه الامم بروح المغيرة عن سر هذا التفوق فلم تجد له جوابا الا في اللغة . وحين اطلت الشعوبية براسها كانت اللغة العربية لغة العرب والشعوبيين على السواء . ولعل هذا هو السبب الذي لم يجعل للشعوبية ذات خطر عظيم في بدايتها ولكن نتائجها كانت اخطر حين عنى ابناء الامم بلغاتهم ثم امسكوا عن استعمال اللغة العربية في النهاية . فكانت هذه خسارة تاريخية للعرب : حدث ذلك في ايران وما وراء النهر وفي اسبانيا وكاد يحدث في الشمال الافريقي ويحدث اليوم في فلسطين . وان مؤتمركم هذا ليلدق في ارض تعرف قيمة اللغة العربية بما سلط الله عليها من غزو لغوى دام اكثر من مائة عام فكاد يقضى على عروبة هذا الشعب الباسل بالقضاء على لغته ، ولكن الله الذي قضى بالبلاء هو الذي منح الصبر والمصابرة وقضى بالنصر اخيرا للشعب الجزائري ولغة العرب فאלلهم حمدا على ما ابتليت وشكرا على ما حميت انك على ما تشاءقدير .

افئذ كان هذا خطر اللغة في حياة الامة افلا يكون من واجبا المقدس تقديسا يفوق كسل المعايير ان نبحت ونتباحث في وسائل الحفاظ عليها ثم تنميتها وتطويرها

لم يكن للعرب من قبل ولن يكون لهم من بعد ما هو اثنى ولا اولى ولا ادعى للعناية من لغتهم . لان اللغة العربية وعاء التجارب العربية ومظهر الشخصية العربية ورابطة الاجيال العربية والحبل الذي يعتمس به ابناء الامة العربية في حاضرهم ومستقبلهم . فاذا فرقت السياسة والمصالح الاقليمية بين العرب وحدت اللغة بينهم في الفكر وربطت بينهم في الامل ومثلت في اعينهم قضية مريدة يتفقون في الحفاظ عليها وارادة التنمية لها ومحاولة تطويرها وتيسير فهمها وجعلها اداة دولية تنبئ عن اهمية امة كثر اعداؤها والطامعون فيها واستأسدت من حولها القوى التي تريد الحط من قيمتها اذا لم تتمكن من القضاء عليها . واللغة العربية سلاح العرب في معركة البقاء : بها غلبوا في الماضي ولن يغلبوا الا بها في المستقبل . وحين بعث الله رسوله بدين الحق اعطاه من اللغة معجزة خالدة كانت سببا في اقبال الامم على العرب ، ويوم تكلمت الامم لغة العرب اصبح سجين الصحراء في الجاهلية داعية الحرية في الاسلام واحست الامم المغلوبة ذوات الثقافة ان البدوى الذي كان دونها حضارة اصبح ندا لها ان لم يكن شعاعا يهديها ، واتخذت من العربية لغة لها لا تفهم ثقافة

ثم العمل على تيسيرها ونشرها في الداخل والخارج ؟
نعم هذا واجبا فرادى وجماعات . وهذا المؤتمر الموقر
خطوة مباركة في سبيل هذا العمل القومي العظيم ،
وان كل بحث يلتقى في هذا المؤتمر ليعد في نظري وقتة
في ساحة الجهاد في سبيل الله والعروبة والاسلام يقفها
جندي مدرب شاكي السلاح لا يضيره الا بريق الدم
بسيفه اذا اراق الحبر بقلبه .

وسيتجه هذا البحث منذ البداية الى التفكير في
ايسر السبل « نحو تنسيق افضل للجهود الرامية الى
تطوير اللغة العربية » حتى تأخذ هذه اللغة مكانها
الطبيعي الذي يؤهلها له تاريخها وثقافتها وغناها
وطواعيتها وصلاحتها لان تكون اداة علم وفن كما
ثبت لها ذلك في عصور هامة من تاريخ البشرية . ولعل
اول خطوة لتحديد الداء ان نعرف موطن الداء ومن
ثم يجدر بنا ان نلقى نظرة فاحصة في تراكيب العربية
من جهة وفي ظروفها الاجتماعية من جهة اخرى فلعلنا
ان فعلنا ان نصل الى تشخيص مقبول لاجه النقص
العقبات التي تقف حائلا دون تطوير لغتنا الفصحى .
والذي يبدو لي ان هذه الواجه يمكن ان ترتب على
لنحو التالي :

١ - صعوبة القواعد وتطويرها :

شاع بين الناس (عربيا وغير عرب) ان اللغة
العربية من اللغات التي يصعب تعلمها ، ويرجع الناس
ذلك الى ما ينسبونونه الى هذه اللغة من نظم معقدة بما
فيها من اعراب واحلال وابدال وقلب وحذف وتقدير
ولنتقار وهم جرا . ولا شك ان اللغة العربية تشتمل
على هذه الظواهر ولكن بعض هذه الظواهر نفسها
توجد في لغات اخرى غير العربية ولا يرميها الناس
بالصعوبة ، فالظواهر الاعرابية موجودة في اللغات
التيينية واليونانية والالمانية والابدال موجود في معظم
لغات الحديثة واشهر صورده ما يسمى Lidison
في اللغات الاوربية الحديثة ولن يعز علينا ان نجد
بقية هذه الظواهر في اللغات الاخرى . ومع ذلك لا
ترجع الاصوات بالشكوى ضد هذه اللغات . فلماذا ؟

الواقع ان الطريقة التي تمت بها دراسة النحو
الذي لم تكن احسن الطرق الممكنة . فلقد خلط النحاة
في عملهم بين منهج العالم ومنهج المعلم فكان على العالم
ان يصطنع المعيارية في بحثه وهي اسوا ما يبطل به
منج البحث وكان على المعلم ان يتعمد عموميات

القواعد الى الملاحظات الدقيقة التي ادت في نهاية الامر
الى نشأة المدارس والمذاهب . اصف الى ذلك ان النحاة
تجاهلوا في رصدهم لظواهر العربية امرين على جانب
كبير جدا من الاهمية ، اولهما تاريخي وهو تطور اللغة
من جيل الى جيل وثانيهما اجتماعي وهو اختلاف
اللهجات من قبيلة الى قبيلة . فأما بالنسبة للاول فلم
يفرقوا بين لغة امرئ القيس ولغة ابن هرمة او بشار
بن برد . وبين هذا وذاك حوالي ثلاثة قرون تطورت
فيها اللغة في بنيتها وفي اسلوبها تطورا يستحق
التسجيل . واما بالنسبة للثاني فقد طفق النحاة يختارون
القبائل ليأخذوا اللغة عنها فكان اختيارهم بلا منهج
سليم . ذلك بانهم عددوا القبائل وكان الاولى بهم ان
يدرسوا النحو في كل لهجة على حدة بما للهجات من
اختلاف الانظمة . وحين عددوا افرادها ما سموه قبائل
وسط الجزيرة ونفوا ما عداها واقاموا نحوهم على هذا
الاساس ولكن شواهدهم لم تلتزم بذلك فاستشهدوا
بكل شعر حتى شعر العباديين . وفوق ذلك كان
اعتمادهم عند الاستشهاد على الشعر في الاساس
عملا ليس له ما يبرره ، فلقد ادى ذلك الى ان يصبح
النحو العربي مزجا غريبا من القواعد والرخص
والضرائر والشواذ الخ . لان لغة الشعر بطبيعتها
لا تستقيم الا مع هذه الرخص والضرائر ، ولان لغة
النثر نفسها تستعمل هذه الرخص في غير القليل من
الحالات . وفوق كل ذلك ان النحاة بنوا نحوهم على
نظرية العامل فعلقوا جمهور المعاني على العلامات
الاعرابية مع ان هذه العلامات لا تعين على كشف
المعنى في المقصور والمنقوص والمبني والجملة ذات
المحل ، كما ان العلامات الاعرابية اقل من الابواب
النحوية فلا بد ان يستدل بالعلامة الواحدة على اكثر
من باب واحد ولو تعلق المعنى بفرد العلامة في
هذه الحالة ما استطاع الناس ان يامنوا اللبس . من
هنا افسحت المشاكل الطريق للخلافات وادت الخلافات
الى المذاهب وتكلمت المذاهب في الشاذ والقليل والنادر
والسموع والمقيس والمطرود الى غير ذلك . وطالت
كتب النحو بهذه الخلافات حتى اصبح الباحث عن
القاعدة المجردة كالباحث عن الابرة في كومة القش .
وهكذا رميت اللغة العربية بتهمة الصعوبة وكان ذلك
بسبب منهج النحاة .

نكرنا من قبل ان اللغة العربية ليست ببناها وتركيبها
صعبة وان الصعوبة التي يصادفها المتعلمون لها انما

ج - وإذا علقنا هذا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية بمفردها فكيف يمكن لنا اعراب الشواذ الاعرابية وما اكثرها وكذلك القلائل والنوادر والمسموع دون المقيس .

ليست العلامة الاعرابية اذن قرينة مفردة على المعنى ولكن هناك عددا من القرائن الاخرى كان على النحاة ان يسلكوها في نظام واحد بدلا من الاشارات المعارضة الى بعضها دون السياق واهمال بعضها الآخر اهمالا تاما . وخطه القرائن النحوية تبدو على الصورة الآتية : هناك قرائن معنوية يفهمها المعرب من سياق الكلام وهى كما يلى :

اولا : قرينة الاسناد : وهى العلاقة التى تربط بين طرفى الجملة المفيدة كربط الفعل بالفاعل او نائبه وكربط المبتدأ بالخبر ثم هى المعنى الذى يسمح للفظ المفرد ان يفيد افادة كاملة كما فى نعم ولا وما سماه النحاة الجملة التى حذف احد طرفيها ، فلولا قرينة الاسناد المفهومة من السياق ما فهم المعنى التام من هذه المفردات **ثانيا :** قرينة التخصص : وهى تضم تحت جناحيها عددا من القرائن التى تعتبر فروعا عليها كالتعددية والغائية والظرفية والمعية والتاكيد او التحديد والاخراج والملايسة والتفسير وكل واحدة من هذه القرائن الفرعية تفهم معنى نحويا خاصا ، فالمعاني التى تفهم منها على الترتيب هى المفعول به والمفعول لاجله (ومثله المضارع المنصوب باللام وكى وحتى والفاء ولن واذا) والمفعول فيه والمفعول معه (ومثله المضارع المنصوب بعد الواو) والمفعول المطلق والمستثنى والحال والتمييز وكل واحد من هذه المنصوبات يعتبر مخصصا لمعوم دلالة الاسناد فى جملته .

ثالثا : قرينة النسبة : ويقع تحتها المجرور على الاضافة والمجرور على معنى الحرف ، فالمعاني الفرعية التى تقع تحت عنوان النسبة تبلغ حوالى ثلاثين معنى هى حاصل جمع الاضافة ومعاني حروف الجر .

رابعا : قرينة التبعية : وهى التى يفهم بها التعت والعطف والتوكيد والبيان والبدل .

خامسا : المخالفة : وهى قرينة طائفة من المنصوبات لا يمكن ان تفسرها فكرة العامل وانما يكون النصب فيها للمخالفة بين المنصوب فى التركيب وبين مرفوع او مخفوض يشبهه تماما فى تركيب آخر على النحو التالى :

تعود الى عيوب فى منهج النحاة العرب من جهة والى الطرق المستخدمة فى التعليم من جهة اخرى ، وهذان امران يرجع اولهما الى علم اللغة النظرى :

Theoretical Linguistics ويرجع ثانيهما الى علم اللغة التطبيقى Applied Linguistics من جهة والى فنون التربية والتعليم من جهة اخرى . ولقد اشرت من قبل الى بعض العيوب فى منهج النحاة العرب وقتلت انها ترجع فى عمومها الى اصطناع اتمكار من خارج حقل اللغة والى الاعتماد فى فهم النص على التعليل والتأويل دون مجرد الوصف والتبويب . واوضح ما يرد لى فى هذا الصدد ان النحاة اقاموا نحوهم على نظرية العامل وانهم ارتضوا نوعا من التحليل اللغوى للقواعد سموه الاعراب التقديرى وآخر سموه الاعراب المحلى . ومن الواضح ان التحليل الاعرابى لاي نص لغوى انما هو تحديد وظائف الكلمات وعناصر التركيب الاخرى فى السياق واذا وصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف فمعرفة ان هذه الكلمة فاعل وتلك مضاف اليه او تمييز وان هذه النون للوقاية وليست للرفع او التوكيد فقد وصل من عمله الى غايته ولم يدع بعد ذلك من وجهة نظر الاعراب زيادة لمستزيد . فهل يمكن من خلال القول بالعامل فقط ان يصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف الاعرابية ؟ الجواب لا بكل تأكيد . لان نظرية العامل تعلق المعنى النحوى على العلامة الاعرابية وهى الحركة او ما ينوب عنها ولكن هذه العلامة الاعرابية غير كافية فى التحليل الاعرابى للاسباب الآتية :

أ - ان عدد ابواب النحو اكثر من عدد العلامات الاعرابية فلا مناص من اشتراك عدد من الابواب فى علامة واحدة كالفاعل ونائبه والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر ان والتابع المرفوع كل ذلك يشترك فى الضمة وكالمفعولين والحال والتمييز والمستثنى والمختص والمصدر النائب عن فعله الخ .. اذ يشترك كل ذلك فى الفتحة وكالمجرور بالاضافة والمجرور بالحرف الخ.. اذ يشترك فى الكسرة . فلو علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية والالة هذه لادى بنا ذلك الى اللبس لا محالة .

ب - واذا علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية فكيف نصل الى اعراب المبنيات التى لا يتغير آخرها والى اعراب المقصور والمنقوص المرفوع والمجرور والى اعراب الجمل المعبرة عن معنى المفرد ؟

نحن العرب نكرم الضيف
احببت ان يقوم زيد
كم عمة
ما احسن زيدا
ستيا لك ورعيا
اضحكا في الصلاة

لخالفة نحن العرب — مبتدا وخبر
لخالفة علمتان يقوم زيد — ان مخففة
لخالفة كم عمة — مضاف اليه
لخالفة ما احسن زيد — نفي
لخالفة ستيا لك ورعى — مبتدا وخبر
لخالفة اضحك في الصلاة — مبتدا وخبر

وهلم جرا . وهذه القرائن المعنوية كما سبق هي العلاقات السياقية فيما عدا المخالفة فهي علاقة في نطاق النظام النحوي في عومها . والقرينة المعنوية غير يسيرة الادراك بفردها ولذلك كان على اللغة ان تعززها بعدد من القرائن اللفظية التي تعتبر معالم للطريق يهتدى بها العرب وهذه القرائن اللفظية كما يأتي :

البنية — العلامة الاعرابية — المطابقة — الربط — التضام — الرتبة — الاداة — النغمة في الكلام المنطوق . ولا بد من ان يتضافر عدد من هذه القرائن اللفظية مع القرينة المعنوية المعينة المخصصة لمعنى نحوي بعينه ، وهذا المبدأ مبدأ تضافر القرائن هو البديل المنهجي للقول بالعامل النحوي . وقبل ان اشرح هذه العبارة دعنا نعرب قام محمد ليصلى لئرى كيف تتضافر القرائن على المعنى التحليلي الذي يسمى الاعراب .

قام : فعل ماض بقرينة الاسناد لانه متبوع باسم مرفوع صالح لان يسند اليه الفعل وبقريته البنية لان هذه الصيغة من صيغ الماضي . وبقريته الرتبة لانه سابق على الفاعل .

محمد : فاعل بقرينة الاسناد لانه كما يقول النحاة هو المسند اليه في الجملة .

وبقرينة البنية لاسم وليس فعلا ولا حرفا وبقريته العلامة الاعرابية لانه مرفوع . وبقريته المطابقة لان الفعل معه مسند الى المفرد الغائب .

وبقرينة التضام لان كل فعل فلا بد له من فاعل (هكذا زعم النحاة) .

وبقرينة الرتبة لانه متأخر عن الفعل ولو تقدم لم يكن فاعلا .

اللام : حرف بقرينة البنية .

وبقرينة معنى الغائية الذي تنفذه .

وبقرينة الرتبة المتقدمة على ضميتها وهذا من شأن الحروف .

يصلى : فعل مضارع بقرينة البنية .

منصوب بدليل العلامة الاعرابية .

وكان نصبه على معنى الغائية بدليل معنى

اللام وذلك هو نفس المعنى الذي ينصب معه

المفعول لاجله وقرينة ارتباطه بمعنى اللام

هو التضام لان اللام مفتقرة الى مدخل هو

الفعل هنا .

وقرينة اخرى على ارتباطه باللام هي الرتبة

بينهما .

ذلك مما اسميه مبدأ تضافر القرائن . وفائدته انه

يرصد لامن اللبس في المعنى النحوي حراسا متعددين

لا حارسا واحدا ما دام قد ثبت لنا ان هذا الحارس

الواحد (العلامة الاعرابية) قد يخفى احيانا ولسولا

الحراس الآخرون لاصبح المعنى مباحا لشياطين اللبس .

هذا تأصيل جديد للنحو العربي او فننقل هذا ترتيب

جديد لأصول النحو يذهب بالتعليل والتأويل الى غير

رجعة ولا سيما اذا اضفنا الى « تضافر القرائن » مبدأ

آخر اهم واخطر هو مبدأ « الترخص في القرائن عند

امن اللبس » ، وسنرى ان هذا المبدأ الاخير يذهب

الخلاطات النحوية ويجعل التول بالندرة والشذوذ

والقلة والمسوم الذي لا يقاس عليه قولاً لا معنى له

ولا جدوى منه الا اطالة النحو وتعقيده وجعله اثبه

ما يكون بنظام فلسفي تأملي اظهر العلم التجريبي

بطلانه على نحو ما بطلت الطبائع الاربع .

وينبغي لنا الان ان نضرب الامثلة على الترخص في

القرائن عند امن اللبس ونعرض في تمثيلها لهذا المبدأ

القرائن اللفظية الواحدة بعد الاخرى . ومن الضروري

ان نقول منذ البداية ان القرينة المعنوية لا يترخص

فيها ابدا لانه علاقة ولانها معنى وظيفي ولا يعقل ان

تترخص في العلاقات والوظائف . وهناك امثلة في القرائن

اللفظية واحدة بعد الاخرى .

١ - الترخص في البنية :

● تحافظ اللغة على ان تجعل من صفة « ال » صفحة

يحمل في طيه ترخفا في مطابقة المقلب عليه - وقد كان يمكن أن يحمل على هذا الترخف إعادة ضمير المؤنث المفرد الى جمع التكسير ولكن اطراد الظاهرة يحول دون هذا القول - وكل ما سماه النحاة التفتاتا فهو من هذا القبيل قطعا .

د - الترخف في الربط :

- يحذف الضمير الرابط عند امن اللبس نحو : « اهذا الذي بعث الله رسولا » - كان ثدياه حقان (اى كانه) - ما اعف واكرما (اى ما اعفها) .
- تحذف الفاء الرابطة في جواب الشرط عند امن اللبس نحو : من يفعل الحسنات الله يشكرها - ومن لا يزل ينقاد للفى والصبا سيلقى على طول السلامة نادما -
- تحذف الفاء الرابطة في جواب اما نحو : فاما القتال لا قتال لديكمو .
- وتحذف اللام الرابطة من جواب لولا المثبت نحو : لولا زهير جفانى كنت منتصرا - وكم موطن لولاي طحت كما هوى .

هـ - الترخف في التضام :

- وهو كغيره مشروط بأمن اللبس ويتمثل في الحذف والزيادة والفصل بالاجنبى نحو :
- قد يحذف ما يعتمد عليه الوصف المغنى فاعله عن الخبر نحو خير بنو لهب .
- وقد يحذف المبتدا او الخبر اذا امن اللبس وتقول عبارة النحاة اذا دل عليه دليل والمعروف ان الجملة الاسمية تقوم على تضامهما فكل منهما لازم للآخر .
- وقد تحذف صلة الموصول على رغم افتقاره اليها وذلك اذا امن اللبس نحو :
- « نحن الاولى فاجمع جموعك ثم وجههم اليها »
- قد تحدث زيادة بين المتضامين كما في نحو :
- في غرف الجنة العليا التى وجبت لهم هناك بسمى كان مشكور
- في لجنة غمرت اباك بحارها
- في الجاهلية كان والاسلام
- وليست سربال الشباب ازورها
- ولتعم كان شبيبة المحتال

صريحة . ولكن اذا امن اللبس جاءت غير ذلك ومثاله :

ما انت بالحكم الترضى حكومته
من القول رسول الله منهم
صوت الحمار اليجدع

- تحافظ اللغة على ان تجعل خير كان واخوانها فعلا مضارعا فاذا امن اللبس جاء الخبر غير ذلك . ومثاله : فطفق مسحا بالسوق والاعناق فأبى الى فهم وما كدت آيبا .. الخ
- تحافظ اللغة على ان يكون المبتدا معرفة فاذا امن اللبس (ما لم تغد) جاء نكرة . ومثاله : امر بمعروف صدقة قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى . سلام عليكم .

ويضيق المقام عن ذكر آلاف الشواهد على الترخف في البنية عند امن اللبس وقد فصلت القول في الترخف في القرائن في كتابى « اللغة العربية مبناها ومعناها » وفي بحث تقدمت به لمسابقة مكتب تنسيق التعريب في العام الماضى فحصل على الجائزة الاولى .

ب - الترخف في العلامة الاعرابية :

وامثلة ذلك اكثر من ان تحصى ومنها :

خرق الثوب المسار - جحر صنب خرب - ان هذان لساحران (بتشديد نون ان) - ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى .. - ان اباهما وابا اباهما قد بلغا في المجد غاياتها - كان لم تبرى قلبى اسيرا يمانيا - وحلت سواء القلب لا انا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا - كان اذنيه اذا تشوفا قادمة او قلها محرفا - ان تقرأن على اسماء - الم ياتيك - ما للجمال مشيها ونيدا - وكل نعت مقطوع فهو من هذا القبيل .

ج - الترخف في المطابقة :

وهو ايضا مشروط بأمن اللبس وامثلته :

والملانكة بعد ذلك ظهر - وما حب الديار شغفن قلبى - ولا ارض اقبل ابقالها - فانى وقباربها لغريب - هذان خصمان اختصموا - وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا - حين قال الوشاة هند غضوب - انا الذى نظر الاعمى الى ادبى - وكل ما سماه النحاة التغليب

سراة بنى ابي بكر تسامى
على كل الموسومة العراب

● قد يستقط احد مفعولى ظن وهما متضامان وذلك
عند امن اللبس - والامثلة على هذا الترخص اكثر
من ان تحصي :

و - الترخص في الرتبة : وذلك عند امن اللبس فاذا
لم يؤمن اللبس التزمت الرتبة التزاما لا مناص منه .

● فيجوز تقديم الخبر على المتبدا الا عند اللبس كما في
اخي صديقى فيكون الاول هو المتبدا .

● ويجوز تقديم المفعول على الفاعل الا عند اللبس
كما في ضرب موسى عيسى فيكون الفاعل اولا .

● ويقال مثل ذلك في اسم كان وخبرها وفي مفعولى
ظن وفي مفعولى اعطى .

● واذا امن اللبس تقدم المعطوف نحو : « عليك
ورحمة الله السلام » .

● واذا امن اللبس ايضا عاد الضمير على متأخر لفظا
ورتبة نحو : « قل هو الله احد » .

● واذا امن اللبس تقدم المستثنى نحو : « ومالى الا
آل احمد شيعة » وهلم جرا .

ز - الترخص في الاداة :

● قد تحذف همزة الاستفهام عند امن اللبس نحو :
« ثم قالوا تحبها قلت بهرا » وتقول الكميت : « وذو
الشيب يلعب » وقوله تعالى : « وتلك نعمة تمنها
على ان عبدت بنى اسرائيل » ؟

● قد تحذف واو المعطف عند امن اللبس وهذا ما
يسميه النحاة تعدد الخبر نحو زيد كاتب شاعر
وتعدد النعت نحو : جاء زيد الكاتب الشاعر وتعدد
الحال نحو : جاء زيد كاتب شاعرا وشواهد ذلك
كثيرة جدا .

ح - الترخص في النغمة :

والنغمة قرينة في الكلام المنطوق ويبدو ذلك واضحا
في نطق الشواهد التى سقتها على حذف اداة الاستفهام
وفي غير ذلك مما نسبه في كلامنا العادى فانت تستطيع
ان تعطى لفظا مثل لفظ الجلالة منطوقا بمفرده ما تشاء
من معانى الجمل النحوية كالاستفهام والتعجب الخ .
ومثل ذلك ممكن مع عبارة مثل « ياسلام » حيث تكون

النغمة قرينة هامة على المعنى المراد . ومع ذلك يمكن
ان نترخص في النغمة بواسطة القراءة الصامتة ونحوها
وعند الكتابة الى صديق وهكذا .

ان تطوير اللغة العربية في هذا المجال يمكن ان يتم
بواسطة كتاب في النحو طبقتا لهذا المنهج وسنرى بعد
ذلك نتائج هامة في حقل القواعد منها :

1 - اعادة اعتبار القراءات الشاذة والاحاديث
المتأولة .

ب - تخليص النحو من الخلافات .

ج - تيسير فهم النص العربى بتأكيد النظرة الى
جميع قرائنه .

د - تخليص النحو من الانكار الغريبة الوافدة من
الفلسفة وغيرها .

هـ - الوصول الى نظام مطرد للنحو قواعده محدودة
العدد سهلة الفهم ونفى ما عدا هذه القواعد بواسطة
مبدأ الترخص الذى سبقت الاشارة اليه .

ز - الغاء نظرية العامل والغاء الاعرابين التقديرى
والمحلى اللذين يفهمان بقرائن معنوية او لفظية ليس
من بينها العلامة الاعرابية التى هى مناط التقدير والمحل
الاعرابى .

2 - بناء المعجم وتطويره :

من المسلم به ان المعجم لا يستغنى في بياناته عن
الاعتبارات الصرفية التى توضح بنية الكلمة ولا عن
الاعتبارات الصوتية التى تبين ضبط نطقها ، ولقد رأى
المعجميون قديما وحديثا ان هذا الاساس (الصوتى -
الصرفى) جزء لا يتجزأ من معنى الكلمة المراد شرحها
وحفلة المعاجم العربية بنكر ابواب الثلاثى وبناء حركة
المضارع بقول المعجم « كضرب » او كسمع او كضمر
الخ . كما حافظت هذه المعاجم على ضبط نطق الكلمات
بايراد كلمات اخرى على وزنها فيقال ان هذه الكلمة
ككتاب او كغلام او كسحاب او كجعفر الخ . ولكن
المعاجم العربية كانت شديدة المبالغة في الاعتداد
بالاعتبارات الصرفية حين جعلت مداخلها حروف المادة
الثلاثة اذ كان من نتائج ذلك ان يضطر الناظر في المعجم
الى معرفة الصلات الاشتقاقية بين مشتقات المادة
الواحدة ، كما يتحتم عليه ان يعرف الالف الواووية
والالف اليائية وان يعرف الاصلى والزائد وهلم جرا .

والمعروف ان المعنى المعجمي هو معنى الكلمة المفردة وليس معنى الكلمة في السياق واذا كان معنى الكلمة في السياق مما يؤمن فيه اللبس فان المعنى المعجمي لا بد ان يكون متعددا ومحتملا . خذ معنى ضرب مثلا وهي حالة افرادها وحاول ان تزعم لها معنى محددنا فلن تستطيع ذلك دون ان تضعها في سياق .

ويتضح ذلك مما يلي : ضرب زيد عمرا — ضرب الله مثلا — ضرب له موعدا — ضربت له فبة — ضرب النقود — ضرب في الارض — ضرب رقما قياسيا وهلم جرا ، فالضرب في المثال الاول ايجاع وفي الثاني ذكر وفي الثالث تعيين وفي الرابع اقامة وفي الخامس صياغة وفي السادس سعى وفي السابع تفوق . فكل من هذه المعاني صالح للكلمة ما دامت مفردة ، فاذا وضعت في سياق تعين لها واحد من هذه المعاني دون سواه . ومن واجب المعجم ان يسوق بعدد هذه المعاني من النصوص ما يحددها تحديدا تاما ولكن المعاجم العربية اتكلت على الالف في الكثير من الاحيان فقالت في شرح الكلمة عبارات لا تغنى طالب المعنى فتिला . وذلك ان تقول مثلا : موضع (دون ان تحده جغرافيا او تاريخيا) او نبات معروف (وقد زعمت ان هذا النبات سيكون معروفا لقراء المعاجم حتى المناطق النباتية التي لا تعرفه) او ماء لبنى فلان (وقد يجهل طالب المعنى بنى فلان ولين كانوا يقيمون) وقد يشكك المعجم نفسه في المعنى فيقول : كذا وقيل كذا . وقد يورد المعجم اسما لآلة كالنجنيق او الدبابة او غير ذلك ثم يكتفى بعبارة قصيرة لشرح هذا اللفظ دون ان يصف المسمى وصفا يمثله في ذهن القارئ . وقد ينسب المعجم موضوعا الى لون من الالوان يحتاج الى تحديد دقيق فيصف هذا اللون وصفا غامضا بقوله : (وهو اقرب الى الحمرة او الخضرة او الصفرة) مع ما يشمل عليه هذا القرب من ظلال الالوان التي يبعد بعضها عند الوصف الدقيق عن بعض . وقد يحدد الموقع معجميا بقوله : مسيرة ليلة من مكان كذا ولا يعلم القارئ ان كان المسائر هنا راجلا او راكبا جملا او حمارا او حصانا وقد يتورط المعجم في معلومات اسطورية كان يقول في لقمان مثلا انه ابن عاد وقد يتورط في طابع مذهبي او ديني كالذي نلاحظه في المنجد اذ يبسط القول في شرح ما يتعلق بالمسيحية ويبتريه في شرح ما يتعلق بالاسلام .

ذلك هو بعض الصعوبات المعجمية التي يلاحظها الناس عند استعمالهم اللغة العربية وهي صعوبات

تسلم في مجموعها الى اللبس وهو اعدى اعداء اللغات . قلنا ان المعنى المعجمي متعدد ومحتمل وعرفنا كذلك ان المعنى المعجمي هو معنى الكلمة المفردة فلا هو وظيفي تحليلي كالمعنى النحوي ولا هو سياقي يعتمد على المقام كالمعنى الدلالي ، وهذا الطابع الافرادى للمعنى المعجمي يذكرنا بفرع من فروع الدراسات البلاغية يتناول المفردات وذلك هو علم البيان . فعلم البيان يتناول معاني الكلمة المفردة من حيث المطابقة والتضمن واللزوم ومن حيث الاطلاق الحقيقي والاطلاق المجازي ومن حيث المجاز يتكلم في المعنى من حيث المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكتابة وفي كل يحتفظ علم البيان ، بطابع العناية بمعنى الكلمة المفردة . فاذا نظرنا الى تعدد المعنى المعجمي واحتماله وجدنا هذا التعدد راجعا في معظم صورته الى اسباب يمكن البحث عنها في علم البيان ومن هنا يمكن القول بأن بعض عناصر التطوير للمعجم العربي ربما تمت باتشاء علم جديد يسمى علم المعجم يجعل البيان مقدمة نظرية له ويضيف الى ذلك شيئا عن مطالب المعجم وشروط احسانه وتاريخ المعاجم عالميا وعربيا وغير ذلك من الموضوعات مما يتعلق بهذا الفرع من فروع النشاط اللغوي . وانما شخصيا اعتقد ان نشأة هذا العلم ونحوه يمكن ان تكون مساهمة عربية اصيلة في حقل الثقافة العالمية وقاعدة تصلح لتطوير فكرة المعاجم على اساس من نظرية مقبولة .

وقلنا ان من عيوب المعاجم العربية انها تجعل حروف المادة الثلاثة (او قل الاصل الاشتقاقي المرفق) مدخلا لشرح المفردات . ولا يخفى ان كل اصل من هذه الاصول يضم تحته عددا من المفردات المراد شرحها يكثر او يقل . ومن هنا يجعل شرط الوصول الى الكلمة المفردة معرفة سابقة باشتقاق الكلمة وبأصولها وزوائدها وذلك امر يتردد فيه احيانا بعض المتخصصين . ومن ثم يصبح الكشف عن معنى الكلمة في المعجم امرا على قدر من الصعوبة يذكرنا بما تنسم به القواعد العربية ايضا من صعوبة . ونقطة البداية في التيسير المعجمي هي تحرير المفردات من ربة الاعتبار الاشتقاقية بالنسبة للمدخل . فعلينا ان ننظم معاجمنا على الترتيب الهجائي للكلمات لا على الترتيب الهجائي لاصول المادة . لقد باهى الاوربيون كثيرا بغنى لغاتهم بالالفاظ وعابوا على العربية فقرها في هذه الناحية . قالوا انك اذا احصيت مداخل المعجم هنا

وورثت العربية من هذه الزخارف وتلك السفاسف تركة
مقلدة تدعو الى الجهد المضاعف في سبيل الاصلاح .

واذا نسبنا لغة العلم الى الوضوح وجعلنا لغة
الادب للجمال امكنا ان نقول ان كلتا اللغتين تدعو الى
مزيد عناية . فاما لغة العلم فقد صحا العرب صحتهم
الاخيرة بعد ان ادلج الناس في محجة العلم وهياوا
لغاتهم لمطالبه وكان اول ما فعلوا في هذا المجال ان
راجعوا اساليبهم العلمية فضبطوها ووصلوا في ذلك
الى ما يسميه الكتاب الانجليز *Mathematical precision*
فأصبحت كلمات الجملة وصياغتها محسوبة حسابا
دقيقا لتؤدي المعنى المراد على صورة تبعد بالقارئ عن
اللبس واحتمال الوجهين . وانعكس ذلك على طريقة
عرض المادة العلمية فأصبحت العناصر الواجبة
التقديم هي العناصر التي تقف مما بعدها موقف التمهيد
من النتيجة وبذلك تسهل الاشارة في الفقرة اللاحقة الى
الفترة السابقة . ومن قبيل ذلك ايضا انهم لا يستعملون
المجاز ولا العبارة الذاتية كالتعجب والمدح والنم
واسماء الافعال والاصوات ونحوها ولا يستعملون
المصطلحات الا ان يكون معناها ذا شيوع عرفي والا
قدموا ايضاح هذا المعنى قبل الدخول في البحث
نفسه بما يسمى *Glossary* وبذلك تسهل قراءة
العلم وتتصف اللغة بصفة الاداة العلمية . واذا لاحظنا
ما يفعله الكتاب في ايامنا هذه وجدناهم في مجموعهم لا
يقدمون للبحث بايضاح المصطلحات وانما يلجأون الى
بيان معنى كل مصطلح عند ايراده في النص - والبعض
لا يفعل ذلك .

وعيب هذه الطريقة ان القارئ اذا صادف المصطلح
فيما بعد اثناء قراءة البحث نفسه كان عليه ان يفتش
على معناه تفتيشا مضنيا حتى يجده ولو ذكر معناه في
اول البحث لكان ذلك عليه اسهل . ومنهم من يقف جهله
بالعربية دون احكام العبارة ، فتؤدى عبارته احيانا
الى اللبس التام وحيانا الى الركة في الاسلوب مما
يذهب باحترام بحثه ويقلل من قيمته والقدرة على
الانتفاع به .

واما لغة الادب فان قلة المعارفين بالقواعد بين
ادبائنا جعلت ادبنا المعاصر ادبا ملحونا . وزاد الامر
سوءا ان عزم ادبائنا عن العبارة البليغة تحت دعوى
العناية بالمضمون ، وما كان للمضمون الجيد ان يتطلب
لغة رديئة حتى ولو كان للادب ميول واقعية .
ولقد مال النقد الادبي في ايامنا هذه الى ان يستعير

وهناك نستجد الغنى ملحوظا في اللغات الاوربية
وستجد الفقر ملحوظا في العربية وفاتهم انك حين تحصى
تعد الكلمات المفردة في لغاتهم وتعد اصول المवाद في
لغتنا وكان عليهم ان يدركوا ان كل اصل من هذه
الاصول يضم تحته العدد العظيم من المفردات . وفائدة
تخصيص مدخل لكل كلمة مفردة انك تعطى تأكيدا لكل
لفظ مفيد على حدة لان اللفظ المفرد قد لا يرد ذكره ايدا
بين مشتقات المادة ويستغنى عن نصه بايراد وزنه
فيقال مثلا : وكسحاب كذا وهكذا تصبح بنية الكلمة
سهلة النسيان واذا غابت عنك البنية غاب عنك المعنى
واصبح المعجم قليل الفائدة في تعليم اللغة . اصف الى
ذلك ان تخصيص كل كلمة بمدخل خاص يمكن واضع
المعجم من ان يحصى معانيها اللغوية والاصطلاحية على
صورة منظمة على نحو ما نراه في المعاجم الاوربية ،
كما يمكنه من ان يشير الى المهجور والمستعمل والى
الغريب والمشهور والى المعاصر والتقديم وما يبطل
استعماله منه وما لم يبطل وكل ذلك يصعب تحقيقه
مع الترتيب الحاضر للمعاجم العربية . ومن ضرورات
التطوير في معاجمنا الا نجعل الفصاحة مقياسا لصلاحية
الكلمة للتسجيل فاللغة العربية الفصحى الحديثة لغة
متطورة دائبة التطور مع التغيرات المعاصرة ، وعلى
المعجم العربي ان يرتفع الى مستوى هذا
التطور فيسمح للكثير جدا من الالفاظ الحضارية
والاصطلاحية ان تلج ساحته من مداخلها الواسعة .
والا كان المعجم سببا من اسباب الجمود في هذه اللغة
التي نسعى الى تطويرها .

3 - الاسلوب وتطويره :

ان اهم ما تحرص عليه اللغة امن اللبس ويلى ذلك
في الاهمية ان يصل اصحاب اللغة باسلوبها الى درجة
من الضبط تجعل اللغة مثلا في الوضوح . وبذلك
اشتهرت اللغات الحديثة الانجليزية والالمانية والفرنسية
ثم يصلوا بهذا الاسلوب الى درجة من الجمال تجذب
الناس الى ادبها وتراثها . ولقد كان للغة العربية
الشرف ان تكون لغة القرآن وهو المثل الاعلى للوضوح
والجمال في وقت معا . ولكن هذه اللغة نفسها منيت
بعد ذلك بالصنعة والتكلف والاطناب الممل والمحسنات
والعناية باللفظ على حساب المعنى . وتوارى الاسلوب
الصحراوي الصادق المباشر المساوي لتحل محله
زخارف الترف العباسي وسفاسف الضعف التركي ،

والمبالغة والصنعة الى غير ذلك من العبارات التى يضيق بها الصدر . فما العمل ؟ وكيف نستطيع الوصول الى اصلاح اساليبنا ؟ يقولون ان اسلوب المرء جزء لا يتجزأ من شخصيته . فهل نصلح امر الشخصية العربية اولا قبل ان نقصدى لاصلاح الاسلوب ؟ وكم من الوقت يقتضينا ذلك ؟ ويقولون ان اللغة العلمية لا تحتل الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة . فكيف نصل بأسلوبنا العلمى الى مستوى يتخلص فيه من كل ذلك فنرسى تقاليد للعبارة العلمية الدقيقة باللغة العربية ؟ الق نظرة على الرسائل العلمية التى يكتبها طلاب الدراسات العليا فى الجامعات وستدرك المسافة التى علينا ان نحبوها فى هذا الاتجاه . ويقولون ان الادب ليس مضمونا فقط وانها هو مضمون قيم وعبارة ناصعة صحيحة جميلة — وان على الادب ان اراد ان يصل الى المستوى العالى ان يجرد المضمون والعبارة على السواء . وقلت منذ قليل ان جهل الكثيرين من ادبائنا بالقواعد العربية جعل الادب العربى ادبا ملحونا فى مجموعته — ولست اتجنى على ادبنا المعاصر . فكيف نقوم المعوج فى هذا الادب ؟

هذه هى المشكلات التى تصادفنا فى سبيل تطوير الاسلوب ولست احبل عصا سحرية استطيع بها ان احصل على الطريقة المثلى لهذا التطوير ولكن الامل الذى يحدونى فى هذا الاتجاه ان يكون هذا الموضوع مشكلة مطروحة فى عدد من المؤتمرات على مستوى الامة العربية كلها — وعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده . ولكن الى ان يصل هذا الفتح او ذلك الامر لا بد ان ادق اجراس الخطر فى آذان كتابنا من العلماء والادباء على السواء .

4 - المصطلح وتطويره :

ومن اوجه القصور فى استعمالنا للفصحى ما سبقت الاشارة اليه اشارة عند الكلام عن لغة العلم منذ قليل : وهو فوضى المصطلحات الفنية فى الوطن العربى . وتبدو هذه الفوضى فى مظاهر مختلفة احدها ان العائدين من طلاب البعثات فى جامعات الغرب يعودون الى بلادهم بمادة علمية جديدة ليست ذات اصول راسخة فى البيئة العربية وهم يستعملون فى الكلام فى حقائق هذه المادة مصطلحات اجنبية لا مقابل لها بالعربية فيلجأ كل واحد منهم على حدة الى ايجاد مقابلات عربية لهذه المصطلحات بواسطة الارتجال او التعريب او الترجمة ،

لغته ومعايره من بيئات اجنبية فأصبح موقف النقاد من اصالة الادب موقف دعاة الحضارة الحديثة من تعنف المرآة العربية كلاهما يرى فيما ينتقذه صورة للرجعية لا تتناسب مع مطالب العصر ولو انصفوا لاستنبطوا من الادب الاصيل ومن تعنف المرآة العربية المسلمة عناصر للتطور ولم يفرضوا على اجيالنا مقاييسهم الفنية والخلقية المستوردة من بيئات غربية على فكرنا ولغتنا وتقاليدنا . ولقد كان من حسن الطالع فى وطننا العربى ان النقاد لم يكن لهم من الاثر ما يعنى على اصالة الادب ، ولو استطاعوا لجعلوا من الادب العربى ادبا رمزيا يخاصم المعجم سرياليا يخاصم الوعى او لا معقوليا يخاصم المنطق ، فلقد فتن الكثيرون من ثقافتنا بهذه الاتجاهات الادبية ودافعوا عنها ولكنهم جروا فى الحلبة ساقا ولم يجروا روادا وسلمت للادب اصلاته بسبب ضعف هذه المؤثرات النقدية . ولكن الاثر الوحيد الذى تركته هذه المؤثرات هو حرية الشعر واستفلاق العبارة فى النقد ، واذا كنت حرية الشعر تجربة فان استفلاق العبارة مرض ينبغى لنا ان نهض لعلاجها والقضاء عليه .

هذه مشكلة من اعقد المشاكل التى تواجه دعاة التطوير . فما كدنا ننفض عن انفسنا غبار العصر التركى حتى وجدنا تقاليد اسلوبية عقيمة راسخة الجذور منذ عصور التخلف بل منذ عصور الزخرف العباسى نعم لقد كانت التجرية اللغوية العباسية مصدر نعمة ومصدر بلاء فى وقت واحد . فلقد شهد هذا العصر نموا علميا اعطى اللغة طواعية هائلة فى مجال التعبير عن حقائق العلم ولكنه فى مقابل ذلك شهد نشأة البلاغة باعتبارها منهجا شكليا خالصا للنقد الادبى ، وكان للنقاد البلاغيين اثرهم فى ارساء تقاليد للتعبير الجميل المبني على الزخرف اللفظى فكان لها صداها حتى فى بعض المتون العلمية ، والذى كان زخرفا جميلا فى عصر العباسيين اصبح حبالا ثقيل على العبارة فى العصور اللاحقة . ونما هذا الاتجاه ، بل استشرى هذا المرض حتى افرغت العبارة العربية من مضمونها الصادق فعمدت الى المبالغة الكاذبة حتى اصبح الاسلوب العربى يحل فى طبائنه اشارات خلقية ونفسية واجتماعية تدعو الى الحسرة . وعم ذلك وطم حتى تسلمنا نحن التركية فلم نجد امامنا الا ان نبني على ركام الماضى وبه . واستمع الآن الى النقد الموجه الى الاسلوب العربى من غير العرب وستسمع منهم كلمات الغموض والاطناب

الاسم المرفوع الذي تقدمه فعل مبنى للمعلوم الخ ..
 وفي الفلسفة ضد القابل (والقابلية والفاعلية من
 المقولات العشر) وفي علم الجريمة مقترنها وهلم جرا .
 ومن هنا اجد مشكلات التطوير للمصطلح لا تتناول
 هذا الجانب الاستعمالي الا في اضيق الحدود كأن تهيب
 بكتابنا مثلا ان يحددوا مصطلحاتهم التي لم تكتسب
 الطابع العرفي قبل استعمالها لتكون دلالتها على
 المراد واضحة .

ولكن هناك جوانب اخرى يحسن لنا ان نفكر فيها
 عند ما نتناول تطوير المصطلح . من ذلك مثلا الا يشير
 الكاتب الواحد الى الفكرة الواحدة بأكثر من مصطلح
 واحد فيسميها هنا باسم وهناك باسم آخر لان ذلك لا
 بد ان يؤدي الى الغموض وتعطيل الفهم . والكثيرون
 من كتابنا يتعمون في هذا المحذور ولا سيما من يتصدى
 منهم للكتابة فيما لا يحسن واكثر هؤلاء في مجال الصحافة
 والاعلام . ومن ذلك ايضا يتشعب المصطلح بين العلماء
 للدلالة على فكرة بعينها واقرب مثال اسوقه لهذا ما
 الاظه من المشتغلين بالدراسات اللغوية فالفكرة التي
 تسمى لدى الغربيين Phoneme تسمى عند البعض الفونيم
 وعند الآخر بالحرف وعند الثالث بالوحدة الصوتية ،
 والذي يسميه الغربيون Morpheme يسميه بعضنا بالورفيم
 والبعض بالمبنى الآخر بالوحدة الصرفية . وما يسميه
 الغربيون Consonant يتردد بين الصامت والصحيح ،
 وما يسمونه Vowel يتردد بين الصامت والمعتل .
 والامر يدعوا دون شك الى الالتقاء عند مصطلح واحد
 للفكرة الواحدة اذا اردنا حقيقة ان تكون لدينا حركة
 علمية مزدهرة .

واولى من ذلك بالتوجس امر صياغة المصطلح العلمي
 توليدا او تعريفا او ترجمة . نحن نعرف اننا في ايامنا
 هذه تلاميذ للغربيين نتلقى عنهم الحضارة والعلم
 والتكنولوجيا وننخذهم قدوة لنا على محبة التقدم .
 والافكار تنشأ عندهم فيسمونها بأسماء مشتقة من
 اللاتينية واليونانية القديمتين وحين تصل الفكرة اليها
 تحمل معها اسمها التي اطلقه عليها اصحابها . ونحن
 نريد ان نعرف هذه الفكرة وان نعلمها لابنائنا من
 الطلاب العرب فبم نسميها ؟ انحتفظ باسمها الاصلى
 ام نحوره ليناسب طرق الصياغة العربية دون ان يفقد
 ما يدل على منبعه ام نستلمه لغتنا ان تمدنا بكلمة تجل
 محل الكلمة نصوصها توليدا ام نترجم هذه الكلمة ترجمة
 ام نبحت - وهذا اولى ما تقدم من الحلول بالاعتبار -

ويلجا غيره الى غير ذلك ، فمتعدد المصطلحات الدالة
 على فكرة واحدة ، وقد يحدث ذلك في معهد واحد يضم
 اثنين من هؤلاء المعاندين او اكثر . والصورة
 الثانية لهذه الفوضى ان نشاط كل مجمع من المجمع
 اللغوية وكل جامعة من الجامعات العربية وكل هيئة
 من الهيئات العاملة على تنمية اللغة وتطويرها يتم
 بمعزل عن نشاط الهيئات الاخرى . ولا بد مع هذه الحال
 ان تتشعب النتائج وتحدث الفوضى . والصورة الثالثة
 لهذه الفوضى في المصطلح ان النشاط المعيارى الذى
 تقوم به المجمع اللغوية حين تصوغ المصطلحات للانكار
 الوافدة يتم بمعزل عن تراثنا الثقافى الحافل بالمصطلحات
 الصالحة للاحياء والاستعمال .

ان كل امة من الامم تفتقر الى الاستمرار التاريخى
 ليحفظ عليها طابعها واصالتها وان هذا الاستمرار
 التاريخى لا يتحقق الا باحياء التراث ، واذا لم نحرض
 على احياء تراثنا العربى الآن فان اجيالنا القادمة ستفقد
 رابطتها التاريخية بأجيالنا السابقة ، وان امة العربية
 اذا لم تحافظ على مقوماتها الفكرية وتمنحها الاستمرار
 اصبح مجرد الدعوى بوجود امة عربية موضع شك .
 ولكن كيف نستطيع ان نمنح هذه المقومات الفكرية عنصر
 الاستمرار ؟ الجواب على ذلك يسير : بالمحافظة عليها
 وتطويرها . ويتبع ذلك بالطبع انه ليس من المحافظة
 ولا من التطوير ان نترك مصطلحا استعمله السلف
 يستخفى استحياء ثم يموت في بطون الكتب ونعمد الى
 التفيق بصياغة مصطلحات جديدة تحتاج الى سند
 من العرف العام وتفتقر الى حسن نية الكتاب للوصول
 الى مجال هذا العرف او نعمد الى الاستخذاء بتعريب
 مصطلح اجنبى ولدينا بديله العربى في كتب التراث .

وعند الكلام في تطوير لغة العلم في اتجاه اللغة
 المساوية المضبوطة يستحق المصطلح العلمى نظرة
 خاصة . ان مكان المصطلح من الفكرة يشبه مكان اسم
 العلم من المسمى . واذا صح في المسمى احيانا ان
 ينادى بكنيته او لقبه فلا يصح للفكرة العلمية ان يشار
 اليها بغير المصطلح العلمى . فهم ذلك القدماء كما
 فهمه المحدثون . وتعارف الناس قديما وحديثا على
 التفريق بين الداليتين اللغوية (وهى عرفية عامة)
 والاصطلاحية (وهى عرفية خاصة) حتى انهم اذا
 تعدد الاطلاق الاصطلاحى لكلمة ما حاول الناس ان
 يفرقوا بين اطلاقاتها المختلفة فيقولون مثلا في معانى
 كلمة الفاعل ان معناه في اللغة الذى فعل وفي النحو

الكسائي . ويروي ابن النديم في الفهرست عدداً من العلماء الذين عنوا بوضع المختصرات للمتعلمين فيبيدي مقدراً عناية السلف بهذه الناحية من نواحي النشاط اللغوي واستمرت عناية العرب بتعليم لغتهم على مر العصور حتى جاء الاحتلال التركي فانحصر المد واستعصمت اللغة العربية بقلاعها من الجوامع التي كان اشهرها الجامع الازهر في مصر . فلما عنى العرب بتعليم اللغة في العصر الحديث لم تعد الكتب القديمة ملائمة لنتائج التربية الحديثة ولم يكن للعرب من القدرة على تطبيق هذه النتائج ما يسمح لهم ان يرتفعوا بتعليم لغتهم الى مستوى تعليم اللغات الغربية . ومن هنا اتسع البون في ميدان التعليم بين لغتنا ولغات الغرب ورسفت اللغة في قيود ما فكرنا من عيوب قواعدها واشتهرت بالصعوبة بين الناس وعزف ابناؤها عن تعلمها ووسسوها بالتخلف حتى رأينا المتقنين الحديثين يتندرون بأصحاب الثقافة العربية الاصلية ويرون فيهم مثلاً من امثلة الرجعية . العيب الاساسي اذاً في تعليم اللغة العربية هو تخلف هذا التعليم من جهتين اولاهما اختلاط منهج القواعد العربية بأفكار غير نحوية جاء بعضها من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وجاء بعضها الآخر من خطأ النظرة في اصول النحو نفسه باصطناع الملل الغائبة والتأويل ، وثانيتهما تخلف طريقة التدريس ومنهجه عن النتائج الباهرة التي وصل اليها علم التربية وعلم اللغة التطبيقى Applied linguistics

واصبح السائد عندنا اننا لا نفرق كثيراً في المنهج بين تعليم الصغار وتعليم الكبار وتعليم الاجانب ، ولكل تعلم من هذه طرقه ومناهجه عند الذول المتقدمة . ولقد كان من نتيجة ذلك كله ضعف المستوى العام لمعرفة المتعلمين باللغة القومية حتى ان المرء ليلاحظ هذا الضعف في البلاد العربية جميعها لا فرق بين واحد منها والآخر فأصبح الامر يدعو الى حملة قومية عربية تتضافر فيها الجهود لتأمين الخبرات والموارد ابتغاء الوصول الى وضع اللغة العربية وضعها الصحيح في العالم المعاصر .

وهناك امر لا يقل خطورة عما سبق يتطلب عناية العرب وتضحياتهم وهو ما نلاحظه من عجة التعليم الجامعي في بعض تخصصاته فلا تزال جامعاتنا تتردى في منزلق العزوف عن لغتها في الطب والهندسة وبعض التخصصات الاخرى على الرغم مما لدى العرب من تاريخ ناصع في هذه الدراسات . ولست ارى السبب في ذلك راجعاً كما يقول المتخصصون في هذه المواد الى

في كتب التراث عن مصطلح يدل على فكرة ذات صلة بالفكرة الحاضرة بحيث تعتبر الحاضرة تطويراً لها وتقدماً بها فتستخدم مصطلح التراث للفكرة الحديثة ؟ ان الذي اراه ذا جدوى ان الجهات المعنية بالاصطلاح في الوطن العربي كالمجامع والجامعات والجمعيات اللغوية ينبغي لها عند التفكير في صياغة مصطلح جديد ان تعود اولاً الى تراثنا العربي العظيم تحاول ان تكشف فيه عن مصطلحات بطلب بالتقدم العلمي ولكنها صالحة بحكم تعبيرها عن حقيقة علمية ذات صلة بالحقيقة الجديدة التي يراد ايجاد مصطلح لها ان تعبر عن هذه الحقيقة فعندئذ يكون المصطلح العلمي القديم اولى بالاستعمال من المولد او المعرب او المترجم ، فاذا لم يكن في التراث ما يصلح ذلك فان التوليد هو الخطوة المنطقية التالية على ان يكون المصطلح المولد مما يسهل ارتباطه بالتعبير عن هذه الفكرة ويلى ذلك تعريب المصطلح الاجنبي وذلك بتقريب بنيته من الطابع العربي من حيث الاصوات والصيغة وقابلية التركيب العربي له ، فلا ينبغي ان يكون متنافر الحروف ولا مما يجتمع فيه ساكنان الخ . وأضعف الامور في هذا النشاط ان نعهد الى المصطلح الاجنبي فنترجمه ترجمة لفظية وعيب هذه الطريقة ان الاطلاق الاصطلاحي غالباً ما يبنى على تجاهل الاطلاق اللغوي العام . ومن هنا تبدو الترجمة غير مفهومة اضع الى ذلك ان طرق التركيب المزجى في اللغات الاجنبية قد لا تناسب اللغة العربية فلا يمكن للعربي ان يقدم في مقابل المركب المزجى مركباً آخر ومن هنا يضطر المترجم الى كلمتين او اكثر في مقابل الكلمة الواحدة كالذي يحدث عند ارادة ترجمة او Transcendental او Pseudo-philosophical او Anglo-Arabian الخ .

هـ - التعليم وتطويره :

على الرغم من ان الدراسات العربية كانت في منشئها تابعة عن ارادة الضبط والتعليم ومواجهة موجة اللحن التي طمت في البيئة الغربية في العصر الاموى جاء اول كتاب في قواعد اللغة موسوعة غير صالحة لان تتخذ متناً لتعليم اللغة . ولقد سمعنا ان علماء اللغة انفسهم كانوا يستعظمون هذا الكتاب ويقولون احدهم للآخر عند ذكر كتاب سيويوه : « هل ركبت البحر » من هنا احس المؤدبون والمعلمون حاجة ملحة الى الكتب المختصرة لتعليم اللغة حتى كاد اول مختصر يكون معاصراً لكتاب سيويوه نفسه وكان من عمل

خوف من الاتقطاع عن مجرى البحث العلمى فى العالم وانما يعود هذا التخلف الى جهل المتخصصين فى هذه الفروع بلغتهم القومية وعدم قدرتهم على تأصيل هذه الدراسات بلغتهم العربية ولقد اطمانوا لهذا السبب الى ان يجعلوا عالمنا العربى تلميذا للغرب .

بنيت التربية اللغوية فى التاريخ العربى على استظهار القواعد من المتون سواء فى ذلك المتون المنثورة او النظرية ، واتخذ المؤيدون فى مختلف العصور موقف الملقن والمصحح فقامت عملية التعليم فى احد جوانبها على التدريب والتصحيح . واللغة تكتسب كما تكتسب العادات والمهارات ولا يكون اكتسابها ولا اكتساب العادات والمهارات الا بمداومة التدريب المبس على اسس فنية ومنهجية . ولقد حفلت وصايا المؤيدون منذ القديم - واشهرها صحيفة بشر بن المعتمر - على اذكى اللغات والتوجيهات المترتبة على الخبرة . ولكن الذى لا شك فيه ان تطوير تعليم الصغار وهناك تعليم الكبار (او ما يسمونه محو الامية) ، ويأتى بعدها تعليم اللغة للاجانب ، ولكل من هذه الانواع منهجه الذى ينبغى ان يكون فيه اختلاف عن منهج الآخر بحكم اختلاف السن او بحكم اختلاف العادات اللغوية بين الوطنى والاجنبى فهذه العادات اللغوية بحكم رسوخها وتواصلها فى النفس لا بد عند التخطيط لتعليم الاجانب . من اخذها فى الاعتبار . وبالنظرة العجلى الى تعليم اللغة العربية فى وقتنا هذا يمكن للمرء ان يرى ان كل دولة عربية تضع مناهجها وبرامجها الخاصة وان عنصر التنسيق لا وجود له تقريبا بين هذه المناهج والبرامج . وقد يقال ان البرامج المختلفة اجتهادات مختلفة للوصول الى كفاءة مرجوة للمتعلم ، ولكن الواقع يكذب هذا الزعم لان حذف اللغة واكتساب القدرة فيها اصبح املا لكل من يلاحظ الضعف العام لمستوى طلاب اللغة وخريجى الجامعات فى الوطن العربى كله وهو امر ينعكس على الحياة العامة التى تتخذ من هؤلاء الخريجين الضعفاء علماء اليوم وكتابه وادباءه اللحاتين ذوى الاسلوب الفضفاض .

والذى اقترحه لتعليم اللغة العربية للصغار ان يقوم هذا التعليم لا على اساس المناهج التقليدية السائدة فى الوقت الحاضر وانما ينبغى اولا ان تجرى البحوث الجادة للوصول الى الحصيلة اللغوية لهؤلاء الصغار بتحديد المفردات العربية الفصيحة التى يشيع استعمالها فى كلامهم والمفردات العلمية التى تعتبر قريبة الشبه

من مفردات عربية فصيحة ، ثم نجعل من هذه المفردات جميعها نقطة بداية لتعليم الطفل فلا يصطدم الطفل منذ اللحظة الاولى بالغريب من المفردات فيخطر فى باله ان الفصحى لغة غريبة عنه وان تعليمها حمل عليه وهو ما زال غض العود هس البنية . ثم علينا ايضا ان ننظر الى كسب اللغة لدى الطفل نظرتنا الى كسب العادات والمهارات فنحنى بالاجانب العملى التدريبي اكثر مما نعننى بالقواعد المعقدة التى قد يحتاج فهمها الى مستوى اعلى من مستوى الطفولة . وليكن هذا التدريب موجها الى اللسان والقلم وليكن مرماه الصحة والطلاقة وبحسبنا ان نسمى الى هاتين الغايتين فى تلك المرحلة المبكرة تاركين الدقة والجمال لمرحلة الفتوة والشباب بعد ذلك .

واجدر شىء بالاعتبار فى تعليم الكبار الاميين ان يرتبط هذا التعليم منذ البداية بالصالح العملى للمتعلم وان تكون امثلة التعليم مأخوذة من التراكمات التى يستعملها المتعلم فى حياته اليومية والا يصر المعلم على الفصحى وانما يصر على المشهور وان كان هذا المشهور موعلا فى العمامة . فاذا كان المتعلمون هنا من بيئته متدينة فلا بأس من اختيار قصار الآيات والاحاديث المستعملة كثيرا فى هذه البيئة اذ تجرى الآيات القصيرة او العبارات المأخوذة من الآيات او قصار الاحاديث على السنة العوام يتمثلون او يستشهدون بها احيانا فهذه جزء من لغتهم القومية يسهل ان يتعلموا كتابتها كما يسهل ان يحفظوها عن ظهر قلب .

والخطب فى تعليم الاجانب افدح لان العادة اللغوية ككل عادة اخرى يصعب اكتسابها جنبا الى جنب مع عادة اخرى متصلة . وقديما التفت الشاعر الى هذا المعنى بقوله : « فصادف قلبا خاليا فتبكتنا » وقلب الاجنبى مشغول بلغته الاصلية وكل انسان فى العالم يرى لغته هى الوحيدة بين اللغات مطابقة للمنطق وانسجبا مع طبيعة التعبير وآية ذلك ان كل عربى فى هذا المؤتمر يصرى لهجته العمامة الخاصة خيرا من العمامات الاخرى فى الوطن العربى ، بل قد يسخر بينه وبين نفسه من بعض هذه العمامات ومن هنا يحسن ان تكون نقطة البداية فى تعليم اللغة للاجانب ان يعمد المعلم الى المقارنة بين تراكمات العربية وتراكمات لغة هذا الاجنبى ومن هنا يصبح تعليم العربية للاجانب عملا تخصصيا لا يقوم بالتعليم فيه الا من يحسن لغة المتعلم فاذا لم تكن لغة الاجنبى مشهورة او لم يوجد من يعرفها

فليقع الاختيار للمقارنة على لغة عالمية مشهورة
يحسنها العلم والمتعلم جميعا .

6 - جهود التطوير وتنسيقها :

لا شك ان الرغبة في تطوير اللغة العربية رغبة
حقيقية لدى العرب ، ولكن هذه الرغبة كالكثير غيرها
من الآمال القومية يقوم دون تحقيقها توزيع الجهود
العربية بسبب المبالغة في الولاء الاقليمي . ففي الوطن
العربي دول مستقلة ذات سيادة ولا جدال في ان من
حق كل دولة ان تحرم على هذه السيادة وان يكون
لها حدود وعلم ونشيد وطني وحكومة تسهر على
مصالحها ولكن ارتباط المصير العربي يؤكد وجود
مجالات قومية لا تهم دولة عربية بمفردها وانما تهم
العرب جميعا ويتوقف عليها وجودهم - والحفاظ على
اللغة العربية في مقدمة هذه المجالات القومية لان اللغة
العربية هي المبرر الوحيد للقول ان هناك امة عربية
مستمرة في التاريخ وقائمة في الحاضر . والمعجب ان
مناطق الوحدة في هذه الامة يتعرض اليوم برغبة التطوير
الى ان يصبح سبب الفرقة والتمزق . فلقد دعت الفكرة
على هيئة الدولة في طائفة من البلاد العربية ان تستقل
كل دولة بانشاء مجمع يسمى اللغوي تارة والعلمي
تارة اخرى ويسمى الى تطوير اللغة على طريقته التي
يختطها في حقل لغة الحضارة او لغة العلم وكان لكل
دولة عربية لغتها العربية الخاصة . ولا بد في هذه الحال
ان يصل كل مجمع الى طائفة من الالفاظ مختلفة عما
وصل اليه المجمع الآخر ويكون اتجاه تطوير اللغة الى
التفريق والتزيق لا الى الضم والتوحيد .

ومثل ذلك يقال عن الجامعات في الوطن العربي .
ولقد سبق ان ذكرنا كيف يخترع الاساتذة مصطلحاتهم
الخاصة في المواد الحديثة حتى يحدث انفصام فكري
في الكلية الواحدة حين يكون استاذان مكلفين بالتدريس
لفرقة واحدة ولمادة واحدة فيتوزعان طلبة هذه الفرقة
ويستعمل كل منهما مصطلحه الذي ارتضاه فيتحدث
طلبة احدها لغة غير التي يتحدث بها طلبة الآخر . فاذا
حدث هذا في كلية واحدة فكيف تكون الحال على رقعة
الوطن العربي كله ؟ اننا اذا سمحنا للامور ان تجرى
هذا الجرى قدمنا الحجة الدامغة التي يواجهنا بها
دعاة العجبة في التعليم الجامعي . سيقول هؤلاء ان
المصطلح في اللغات الاجنبية التي نستعملها في الجامعات
واحد وهو بهذا صالح لانشاء وحدة فكرية في العلم هي

اولى بالاعتبار عندنا من استعمال اللغة العربية . فهل
تريدون للعلم في الجامعات تعريبا فوضويا يقضى على
هذه الوحدة الفكرية في العلم ؟ لقد كان السلف من
علمائنا حريصين على توحيد لغتهم العلمية واستطاعوا
بهذا ان يحافظوا على وحدة الفكر حتى كان من اليسر
ان يتعلم احدهم في اقليم عربي ويتولى التدريس في اقليم
آخر ويلقى القضاء في اقليم ثالث ، يفعل ذلك لا عن
طريق الاعارة او النذب او التعاند وانما يفعله في حدود
وطنه الكبير شرق برحلته او غرب . وكان من اليسر
على الطالب في الاندلس ان يفهم لغة البيروني التي
كتبها في الهند ولغة ابن سينا التي كتبها فيما وراء
النهر . فكيف يستقيم لنا مع هذا التاريخ ان نضرب مثل
الطالبين في الكلية الواحدة وقد ذكرنا ذلك منذ قليل .

ومثل ذلك يقال عن الجمعيات اللغوية المبعثرة في
بلادنا العربية ، ان لنا جمعية لغوية في مصر شرفنا
بان اكون اول رئيس لها واعلم ان بالجزائر جمعية
اخرى وهناك جمعيات في امكن اخرى في بلاد العرب .
ومع ذلك لم تلتق واحدة من هذه الجمعيات بالاخري
فتوحد معها لغتها . ان هناك اختلافا بيننا وبين زملائنا
الجزائريين في العنوان العام للعلوم التي نشتمل بها
وهي ما يسمونه في الغرب Linguistics فنحن نسميها
علم اللغة ويسمونها اخوتنا الجزائريون اللسانيات . فاذا
لم نتفق على العنوان فكيف بالتفاصيل .

7 - تنسيق جهود التطوير :

لقد اشرنا من قبل الى حق كل دولة عربية في ان
تستقل سياسيا وان يكون لها علم ونشيد ورقعة
جغرافية واذاعة الخ . (ولست ادافع هنا عن اية
صورة من صور الوحدة السياسية بين الدول العربية ،
ولكن الوحدة العربية وحد الثقافة واللغة) . ووحدة
اللغة قائمة فعلا بين العرب حتى يرث الله الارض ومن
عليها ووحدة الثقافة امل ارى العرب يحرصون عليه
جميعا وهذا المؤثر واحدة من الادلة على صدق هذه
الدعوى ولا تستطيع الامة العربية ان تفرط او تفكر
في التفريط في هذه الوحدة الثقافية الا ان تكون ساعية
الى حقتها وفنائها كآفة لان البديل عن الوحدة الثقافية
الحاضرة ان تتعدد الثقافات بتعدد الدول العربية .
وهذه النهاية المشنومة يمكن التردى اليها عن غير عمد
اذا سمحنا لجهود التطوير ان تتشعب لان التطوير
تغيير والتغيير اذا لم تتحد فلسفته كان تشعبا وتمزقا .

ومعنى ذلك ان كل تطوير في حقل اللغة العربية لا بد للعرب من ان يجتمعوا . له على فلسفة واحدة لان ذلك شرط من شروط ترابط هذه الامة ترابطا ثقافيا ، بل انه شرط من شروط وجود هذه الامة وجودا ماديا .

ولكننا نلاحظ ان كل دولة تخطط لنفسها في حقل اللغة والثقافة وهذا هو النذير للعرب بين يدي عذاب شديد . فما طريق الخلاص ؟ طريق الخلاص في رايي ان توضع جميع الجهود المتجهة الى تطوير اللغة في يد الجامعة العربية لان هذه الجامعة تستطيع ان تؤدى اجل الخدمات للامة العربية في هذا المجال ويسجل لها التاريخ ان الجامعة العربية وجدت رسالتها الحقيقية في حقل الثقافة فوحدت العرب عن هذا الطريق .

فليكن هناك اتحاد للمجامع العربية يلتقى في مؤتمر سنوي لتنسيق جهود المجامع والعمل على توقي التشعب في هذه الجهود وليكن اتحاد الجامعات العربية مؤسسة ثقافية لا ادارية لان انشاء اتحاد لادارات الجامعات لا يقدم للعرب شيئا عظيم الخطر ولان سياسات الجامعات كسياسات الدول العربية نفسها يصعب ان تلتقى . وليكن هناك اتحاد للجمعيات اللغوية في البلاد العربية يعمل على ربط هذه الجمعيات وتنسيق جهودها . ويمكن لهذه الجمعيات تحت راية الاتحاد ان تؤدى اجل الخدمات في تأصيل الدراسات اللغوية الحديثة في الوطن العربي بمصطلحات موحدة . وتشرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على كل هذه الاتحادات وتعقد لها المؤتمرات وتهيء لها فرص الاتصال بالهيئات الدولية المختلفة . هذا هو الحل الوحيد الممكن في ظل الفوضى الثقافية الضاربة الاطناب في البلاد العربية . وعلينا ان ننسج الخطط اللازمة لوضع هذا الحل موضع التنفيذ . وكل نواحي القصور التي ذكرتها في هذه المقالة منسوبة الى جهود تطوير اللغة يمكن ان تعالج تحت راية الجامعة العربية وفي نطاق هذا التنسيق المقترح ، يصدق ذلك على القواعد كما يصدق على المعجم والاسلوب والمصطلح والتعليم والكتابة ووسائل النشر .

8 - نظام اكتابة وتطويرها :

من القواعد المقررة في علم اللغة الحديث ان افضل النظم الكتابية ما توافرت له الشروط الآتية :

1 - ان يمثل النظم الكتابي النظام الصوتي للغة بمعنى ان الوحدات الصوتية (الحروف Phonemes

هي التي يرمز لها في النظام الكتابي ولا يرمز للاصوات Sounds التي تندرج تحت كل حرف لان الرمز الى الاصوات الجزئية انما يكون في الكتابة الصوتية التحليلية لا في النظام الكتابي لاستعمال اللغة .

ب - ان تقوم العلاقات بين الرموز والوحدات الصوتية بواقع رمز واحد لكل وحدة صوتية فلا يستعمل رمز مركب Diagraph للوحدة الصوتية الواحدة ولا يستعمل رمز كتابي مفرد لصوت مركب Diaphone ولا يستعمل رمز معين للدلالة على وحدة صوتية مرة واحدة ثانية مرة اخرى .

ج - ان تكون الرموز الكتابية بسيطة الصورة قدر الامكان بحيث لا يصعب كتابتها ويتصل بذلك ضرورة الاقلال من العلامات الاضافية في الرمز Diacritical marks بل يحسن اسقاط هذه العلامات تماما .

د - ان تتساوى الوحدات الصوتية في ضرورة تمثيلها برموز كتابية فلا يعنى النظام الكتابي ببعضها اكثر مما يعنى بالبعض الآخر .

وسنرى فيما يلي مدى تحقق هذه الشروط في الكتابة العربية :

1 - الشرط الاول :

لا شك ان الكتابة العربية مستوفاة من وجهة نظر هذا الشرط فان رموز هذه الكتابة تعنى بالحروف وتقف عن الاصوات المفردة ودليل ذلك ان تعداد اصوات النون في اللغة العربية لم يفر النظام الكتابي بتعديد رموز النون فنحن نعلم ان من اصوات النون ما ينطق بالشفة السفلى مع الاسنان العليا في « ينفع » ومنها ما يخرج فيه اللسان كما في « ينظر » ومنها ما ينطق في مغارز الاسنان كما في ينطق ومنها ما ينطق في اللثة كما في انا او في نطح الضار كما في ينشأ او في مؤخر سقف الغم (الطبق) كما في « ينكر » او في اللهاة كما في « ينقل » . ومع ذلك عنى النظام الكتابي بالحرف وعمومه دون الاصوات في خصوصها ويقال مثل ذلك عن الصحاح الثمانية والعشرين والحركات الثلاث والمدود الثلاثة . وقصارى ما نلاحظه هنا ان السكون وهو سلب الحركة كان يكفى في تمثيله الا تكتب الحركة ولكن عدم اطراد كتابة الحركات في الاستعمال علق ظاهرة الوقف بكتابة السكون وهذا عذر نحوي عن مخالفة تتعلق بالصلة بين النظام الحرفي Phonological

والكتابى Alphabetical ان اللغات الغربية الحديثة لتحصد اللغة العربية على هذه الدقة في الكتابة ولا يخفى علماء اللغة في الغرب اعجابهم بالكتابة العربية حين يوازنون بينها وبين الكتابة الإنجليزية او الفرنسية في مجال هذا الشرط الاول .

ب - الشرط الثاني :

ليس في الرموز الكتابية رمز مركب للدلالة على حرف مفرد كالذي نراه في الإنجليزية مثل gh او gh او gh او ough او في الفرنسية مثل eau او غير ذلك وليس في اللغة العربية رمز واحد يدل على حرفين الا ما تشير اليه علامة التشديد من تطويل الاعتقاد في نطق الحرف فمى بهذه المثابة اشبه بان تكون علامة مد ، ولكنه مد من نوع خاص لا يقود الى اعتبارها رمزا لحرفين مختلفين . ولكن رموز الالف والواو والياء تستعمل لاداء وظائف مختلفة في الكتابة العربية :

فتكون الالف ركيزة لهزمة القطع وتكون للوصل وتكون زائدة بعد واو الجماعة وتكون للمد العادى .
اما الواو فتكون ركيزة للهزمة وتكون للمد وللزيادة كما في عمرو وتكون صحيحة كما في وجد .

واما الياء فتكون صحيحة كما في يضرب ومدا كما في كريم ورمزا للالف الياثية كما في رعى وركيزة للهزمة كبر ، اصف الى ذلك ان ما لاحظناه من زيادة الالف والواو يقابله الحذف ايضا فتحذف الالف من لفظة الجلالة وبعض الاسماء الحسنى كالرحمن والاعجبية كاسماعيل وابراهيم والعربية كالحرف وتحذف الواو من اسماء معينة مثل داود . واما ما يسمونه السلام الشمسية فان اللام تكون فيه رمزا لحروف غيرها فتكتب وينطق غيرها ولكن الاعتبارات الصرفية هنا تحتم هذا الاستعمال لان هذا موضع اللام في نظام اللغة.

ج - الشرط الثالث :

يظهر عرب الكتابة العربية بالنسبة لهذه الناحية واضحا جليا وذلك للشبه القائم في الصورة بين الباء والتاء والثاء والنون والياء في الاول والوسط كما تتشابه صور الجيم والحاء والخاء وكذلك الدال والذال ثم السراء والزاي ثم السين والشين ثم الصد والضاد ثم الطاء والظاء ثم الفاء والقاف في الاول والوسط . ولقد كان الشبه

بين هذه المجموعات سببا في الكثير من التصحيف في الماضي حتى تصدى لجل هذه المشكلة ابو الاسود ثم الخليل . ولقد كان الحل الذى تقدم به هذان العاملان الفاضلان عيبا جدودا من العيوب الكتابية وهو الاستعانة بالعلامات الاضافية للتفريق بين الصور بواسطة النقط والخطوط تضاف الى صور الحروف ولا تكتب معها على السطر نفسه . اما النقط فقد تحولت من علامات للحركات الى علامات اضافية للتفريق بين الحروف في الصورة وبذلك بقيت في الكتابة واصبح لا غنى عنها باعتبارها قرائن على المعنى . واما الخطوط المستعملة للدلالة على الحركات فقد اثقلت الكاتبين قديما وحديثا فأطرحوها ولم يكفوا انفسهم عناء تسجيلها الا حين يكون امامهم نص واجب الضبط كتص القرآن الكريم وكتب مطالعة الاطفال ، واتكوا فيما عدا ذلك على قرائن السياق نفسه في تحديد البنى والمعنى وكان السياق في الاغلب الاعم من الحالات وامر العطاء في مجال القرائن المعينة على الوصول الى امن اللبس . ولكن انعدام الرمز للحركات ادى الى كثير من الاخطاء الصرفية والنحوية التى شاعت بين الناس وغطت على الصور الصحيحة لنطق الكلمة ، نلمح ذلك في كلمات مثل منطقة - ثيمه - اكفاء - دلالة - حرفى - حصرى - المبرد - عامر الشعبي - ابراهيم النخعي - كوكب - المشتري - الرقة - دمشق - الخ ، وقديما شاع مثل هذه الاخطاء فصار مقبولا لانه مسموع ومن ذلك البصرى - والتغلبى الخ ، اما الاخطاء النحوية فالشهور منها عدم مراعاة الحركات في اواخر الكلمات اما بابدالها بحركات اخرى واما بالاعتصام باسكان اواخر الكلمات .

د - الشرط الرابع :

اشرنا عند الكلام عن الشرط الثالث الى ان الحركات كانت تمثل في الكتابة بعلامات اضافية تضاف الى الحروف ولا تكتب في السياق على السطر كما تكتب الحروف الصحيحة . ولست أدري كيف ساع للخليل رحمه الله ان يعنى في مجالى المعجم والصرف بالحروف الصحيحة ثم يعكس نظره في العروض فيعنى في قياس البحور بالحركات والمدود اكثر مما يعنى بالحروف الصحيحة لقد بنى الخليل نظره في المعجم على الثلاثة الاصول ورأى ان الاستتاق يبنى عليها وان وسيلة بنائه الصيغ هي الحركات والمدود فالحرف الصحيح

في نظره لبنة والحركات والمدود ملاط تلتحم به اللبنة مع اختها وسادت هذه النظرة نفسها في التصريف ايضا ثم في النظام الكتابي للغة العربية وهو نظام حانسل بالاعتبارات الصرفة . وفي كل ذلك جعلت الحركة ملك يمين للحرف الصحيح ومن هنا صح للناس ان يملوها ويطرحوها في الكتابة ويعتمدوا بدونها على قرائن السياق كما فكرنا ، اما في العروض فان الاعتبارات الايقاعية والموسيقية للشعر حكمت ان تكون الحركات والمدود هي المتوال الذي ينسج به الشعر واصبحت قيمة الحرف الصحيح قيمة الفترة التي يتم فيها انقطاع الحركة الايقاعية وذلك يشبه الفترات الواقعة بين المقاطع الموسيقية . وبذلك اصبحت الحركة في الشعر وجودا واصبح الحرف الصحيح عدما ، وذلك عكس ما راى الخليل في الانظمة الثلاثة الاخرى : المعجم والصرف والكتابة . وكان رحمه الله طليعة الطلائع في علاج النظم الاربعة .

9 - تطوير الكتابة :

ان تطوير الكتابة في الامم يحمل في طيه من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا قبل به لاية امة . والذي يبدو من الناحية النظرية ان الكتابة العربية بحاجة الى اصلاح نواحي عيوبها التي استعرضناها من قبل ولكن اصلاح اي جانب واحد من هذه الجوانب يسبب من الصعوبات ما يسببه اصلاح الكتابة كلها . فمن الناحية الاقتصادية يجبرنا اصلاح الكتابة على اعادة طبع التراث طبقا للنظام الكتابي الجديد . وفي ذلك من التكاليف الاقتصادية ما فيه ومن الناحيتين الاجتماعية والنفسية سيكون الجيل الحاضر من العرب على الاقل جيلا موزعا بين نظامين من انظمة الكتابة نشأ على احدهما والفه واخترع الثاني ولم يالفه . وفي ذلك من المصاعب النفسية والاجتماعية بالنسبة للجيل الحاضر ما يضيف الى قصوره قصورا والى تخلفه تخلفا والى متاعبه النفسية متاعب نفسية اخرى ، لان ترك المؤلف من عادات الحياة اصعب ما يكون على النفس . وحسب الجيل الحاضر من المتاعب ان توزعته السياسات والمذاهب الاجتماعية .

واما ما يتعلق بتطوير الكتابة من المصاعب القومية فقد فكرنا ان الامم كما تربط الثقافة الواحدة بين ابناء الجيل الحاضر من اجيالها يتوقف استبرارها القومي في

التاريخ على مدى ارتباط هذا الجيل الحاضر بالاجيال السالفة . وفي تعديل نظام الكتابة الحاضر ما يقطع بيننا وبين السلف ويمس الشخصية التاريخية للامة العربية في المصميم . وفي العالم شعوب ارتضت ان تكتب لغاتها برموز لغتنا وارتبطت في تاريخها الثقافي بتاريخنا وكان هذا الارتباط كسبا للعرب وشارة من شارات الدلالة على ماضيهم العريق وتو غيرنا من نظمنا الكتابي الحاضر فلربما اشرنا بذلك الى هذه الامم ان تتحلل من نظم كتابتها المعتمدة على الرموز العربية . وفي العالم اسم تحللت من الرموز العربية فكان ذلك خسارة ثقافية للعرب . وفي العالم الاسلامي امم لم تكتب لغاتها بعد ، وتعمل الكنيسة الغربية والدول الاجنبية الغربية على ان تغريها باصطناع الرموز اللاتينية في كتابة لغاتها ، وتعتبر ذلك في اساسه حربا على النوروث الثقافي العربي . وقد نجحت هذه المحاولة في اندونيسيا اولا ثم في الصومال ثانيا وخسرنا نحن المعركة في الحالتين ولكن بصيما باقيا من الامل في المستقبل لا يزال يخفق في مهب رياح الياس في النفس العربية ولو اجرنا اي تعديل او تطوير جذري في نظام الكتابة العربية لانظافا هذا البصيص الى الابد .

انا اذا اعترف ان للكتابة العربية نواحي قصور واعترف ايضا ان هذه النواحي بحاجة الى تطوير . ولكن الصعوبات تقوم امام هذا التطوير فتردنا الى نظام الكتابة العربية الحاضر وتجعلنا بالحرص على التاريخ والاقتصاد والقومية والتأثير الثقافي حريصين على هذا النظم نفسه مهما كان بحاجة الى اصلاح . ولكن التطوير يمكن ان يحسن جانب الطباغة في هذا النظم فكثرة اشكال الحروف الواحد واختلاف احد اشكاله الذي في البداية عن شكله الذي في الوسط والشكل الذي في الآخر واختلاف المفرد عن المركب ومشاكل الحروف المتصلة والمتفصلة وطباغة رموز الحركات الاعرابية وعند ذلك جعلت المطبعة العربية مثقلة بالتمديدات وجعلت عدد خانات الحروف في المطبعة كثيرة الى درجة غير معقولة . كما ان الآلات النسخة المبرية Typewriters لا تنى في الكثير من الاحيان بمطالب ضبط النص وتضيف الى عمل الناسخ مالا يضطر اليه من ينسخ على آلة حروفها الاتينية . فهناك مشكلات الحروف الميتة والحروف المطولة والحروف العالية والسافلة واختلاف اشكال الحرف الواحد على نحو ما اختلفت في المطبعة العادية . ولا شك ان اصلاح النسخ

هذه الحضارة نياخذوا منها ويضيفوا اليها . ولن تكون مشاركة العرب في الحضارة بشراء احدث ما تنتجه الصناعة العالمية من السيارات الفارهة ولا الاسلحة التقليدية ولا ببناء القصور ولا ارسال الشعور ولا لبس الملابس الضيقة ولا بالكشف عن مفاصل النساء او التآلق الابله في السلوك واصطناع الغريب من العادات . انما تصل الامم الى المستوى الحضارى المطلوب بالمشاركة في العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة واعطائها طابعا قوميا خاصا تضم فيه راحة التراث العربى المجيد . اكرر مرة اخرى انه لا بد من المشاركة في العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة وتاصيل مصطلحاتها في لغة العرب وامدادها بتيارات فنية من الفكر العربى المعاصر . لم يفعل العرب ذلك حتى الآن . وليست لهم وكالات ثقافية في العالم الخارجى تعينهم على الوصول الى هذه الغاية .

وليس للعرب تبادل ثقافى يعتمد به سواء في حقل الاساتذة او حقل الطلاب او حقل المطبوعات او الافلام او الصحف او الاغاني او الفنون بصفة عامة . فاما في حقل الاساتذة فاننا نستقبل الكثيرين من الاساتذة الاجانب في جامعاتنا ونفسح لهم مجال المحاضرة فيها حتى اذا جاء الدور علينا اجفل اساتذتنا من رد الزيارة لاسباب كثيرة بعضها فنى وبعضها مادى لا داعى في الخوض فيها الآن . والذي يحدث ان الاساتذة العرب ربما ذهب احدهم الى بلد غربى فاستهواه الجو العلمى النشيط في هذا البلد او استهوته الحياة في مجتمع متقدم فقرر ان يبقى في ذلك البلد فردا ابقا لا يستطيع بفرده ان يدعو لاي شئ عربى . فما استفاد بلده العربى من جهوده حاضرا وما استفاد منه نازحا . اما في مجال الطلاب فاننى الاحظ مع الاسف قلة الطلاب الاجانب في الجامعات العربية كما الاحظ مع الفرحة كثرة الطلاب العرب في الجامعات الاجنبية وانما يقل عدد الطلاب الاجانب في بلادنا بسبب ضعف التبادل الثقافى بيننا وبين الامم الاخرى . فنحن نأخذ من الامم ولا نعطى مع كثرة ما يمكننا ان نعطيه ونفخر بعطائه ، واما كثرة الطلاب العرب في الخارج فظاهرة صحة وليست ظاهرة مرض على شرط ان نفيد من هؤلاء المبعوثين دعاية للعرب وثقافتهم في الخارج واستيرادا للعلم والتكنولوجيا الى الداخل . ولكن بعض نواحى التصور توجد في هذا المجال ايضا . فهل نختار التخصصات لدراسة طلابنا في الخارج حسب خطة ؟ وهل يجد

والطباعة ممكن ومطلوب لذاته ولا سيما لان اعياء الثقافة العربية في الامم المتحدة ودوائر المؤسسات في الغرب توجه هذا النقد الى نظام الطباعة العربية . وكان هذا النقد بالذات هو بعض ما سمعه الصوماليون واستجابوا له فابتعدوا عازفين عن استعمال الكتابة العربية للفتهم بعد ان قامت لجان متخصصة من العرب باختراع نظام كتابى للصومالية مشتق من الرموز العربية وكان معظم الدول العربية بمعزل عن هذه المشكلة التى لم تكن تعنى هذه الدول من قرب او من بعد .

10 - تخلف وسائل النشر وتطويرها :

حين ينظر المرء الى المعاهد والمراكز الثقافية الاوربية والامريكية في الوطن العربى والى ما تقوم به من نشاط في سبيل نشر لغاتها وجذب الناس الى قراءتها تأخذها الحيرة والحسرة للاوضاع التى تسود سياسة العرب نحو لغتهم . ومن المسلم به ان كل اجنبى يتعلم العربية لا بد ان يكون اكثر قابلية للتعاطف مع العرب من الاجنبى الآخر الذى لم يتعلم العربية . ومن هنا يصبح من الامور التى ينبغى للعرب ان يسعوا الى تحقيقها وان يبذلوا في سبيلها الغالى والنفيس ان ينشروا لغتهم ليزداد عدد اصدقائهم في العالم . فما جهود العرب في هذا المجال ؟

للعرب فيما اعلم معهد عربى واحد في اسبانيا وبعثة تعليمية في الصومال ومراكز اسلامية في لندن وواشنطن فلما المعهد العربى في اسبانيا والبعثة التعليمية في الصومال فهما مصريان واما المراكز الاسلامية فهى مشتركة بين طائفة من البلاد الاسلامية عربية وغير عربية . وللعرب سفارات متعددة في الخارج بتعدد الدول العربية وقد يشتمل بعض هذه السفارات على تمثيل ثقافى وهو قليل ويغلب ان يوجد هذا التمثيل الثقافى في البلاد التى يدرس فيها الطلاب العرب . وقد يوجد في بعض السفارات مكاتب اعلامية او صحفية ولكن الاغلب الاعم من السفارات العربية في الخارج يخلو حتى من هذا المظهر المتواضع من الوجود الثقافى للعرب خارج بلادهم . هذه الصورة القاتمة للنشاط العربى في سبيل نشر لغة العرب وثقافتهم تبدى الى اى حد تخلف العرب عن ركب الحضارة في وقت صحت فيه امم وشعوب لم تعرف الحضارة من قبل . واذا صح ان نوصف الحضارة الحديثة بانها عالمية بعد ان شاركت فيها شعوب غير اوربية وامريكية فانه لا مناص للعرب اذا ارادوا لانفسهم البقاء من ان يشاركوا في

الخاصة في هذا المجال ، وفي حقل استيفاد الطلبة الاجانب اليها . وترصد المنظمة العربية في هذه الحالة المنح والجوائز لبحوث مختارة يكتبها كتاب اجانب عن نواح مختارة من الثقافة العربية كما تغرى هؤلاء بترجمة مختارات من التراث الى اللغات الاجنبية .

اما الكتاب العربي ونشره فان المنظمة تستطيع ايضا ان تقوم بدورها في سبيله بواسطة انشاء صندوق عربي مشترك يسمى صندوق الكتاب يتولى النشر والتوزيع والدعوة والاهداء والمبادلة . كما ينشأ الى جانب ذلك نظام آخر للارتفاع بالقلم العربي وطابعه الفني والعناية بالافلام التسجيلية التي تدعو للثقافة العربية كالموسيقى والاغنية وتعمل على تطوير الموسيقى العربية والاغنية العربية باعتبارها مظهرين من مظاهر الثقافة العربية . واذا كان لى ان اقترح في هذا الحقل الذى لست خبيرا به ، فاننى ادعو الى ان يكون تطوير الموسيقى العربية في اتجاه الغناء ربع النغمة والابقاء على نصفها تشبها مع الذوق العالمى في الموسيقى وهو ذوق يرى في الموسيقى المشتملة على الارباع نوعا من الانين لا يرمى الى مستوى الاعمال الفنية في العالم . ولهذا الريع ان يبقى في الاغنى الشعبية باعتباره تراثا ينبغى ان تحافظ على ذكره .

وينبغى ان تكون للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صحبة قوية الدعم من الناحية المالية تتكلم بلسان العرب جميعا وتشتمل على مقالات وبحوث واخبار . وهذه الصحيفة تتناول وجهة النظر العربية في المشكلات المطروحة دون ان تنحاز الى جانب دولة عربية بعينها ويكون لهذه الصحيفة نسخ مترجمة الى اللغات الحديثة توزع من مكاتب الجامعة وتقرأ في المعاهد والمراكز الثقافية العربية في الخارج .

وجملة ما احب ان اؤكد في مجال تنسيق التطوير ان يتفق العرب على ان يجعلوا من الجامعة العربية ووكالاتها المتخصصة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا مشتركا لهم في حقل الثقافة وان يكلوا الى الجامعة العربية بعد تدعيمها كل جهد في مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية .

طلابنا ابواب العلم مفتوحة امامهم على مصراعها في الخارج ، او تقسم الجامعات في الخارج دراساتها الى مباح للاجنى وغير مباح ؟ او هل يحى كل طلابنا في الخارج بالضمير العربى او حتى الوطن المحلى ، او تراهم ينساقون مع مفاتن الحضارة فينسون الاوضاع الجزينة التى تركوها وراءهم ؟ افنعد نحن لكل طالب بعثة عائد عملا يقع في نطاق تخصصه يخدم فيه مجتمعه خدمة الخير ويستمر في نموه التخصصى بعد عودته ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تروغ ضمير كل مخلص لتنمية البيئة العربية وتطوير الثقافة العربية واللغة العربية . ثم ماذا عن الكتاب العربى ؟ ما قيمته كضمون وما جاذبيته كشكل مطبوع مجلد ؟ وما وسائل تسويقه وما فرص انتشاره مع قلة عدد قراء العربية في الداخل والخارج على السواء (هم يقلون في الداخل بغلبة الامية ويقولون في الخارج لعدم انتشار اللغة) ؟ وماذا عن الفيلم العربى تسجيليا كان ام ترفيهيا ؟ ما مستواه الفنى وما الجهود المبذولة لنشره وما مدى الاقتناع بجدواه في نشر الثقافة واللغة ؟ وما مدى الاستعداد للبدل في سبيل ترقيته وتحسنه ؟ ومثل ذلك يقال عن الصحف العربية والاغانى العربية والفنون العربية التشكيلية والتعبيرية على حد سواء .

11 - تطوير النشر :

هذا مجال آخر ادعو فيه الى ان تكون الجامعة العربية ومنظمتها العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا للعرب في مشارقتهم ومغاربهم - ان على العرب ان يعززوا منظماتهم بالخبرات والمال لتقوم عن دولهم في مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية . فاذا عززنا المنظمة على هذا النحو امكن لها ان تنشئ المعاهد العربية في البلاد الاجنبية وان تنشئ المراكز الثقافية وان يكون لها نوع من الاشراف على التبادل الثقافى بين بعض العرب وبعض وبين العرب في عمومهم والدول الاجنبية سواء في مجال الخبرات الثقافية والاساتذة والطلاب والمطبوعات . ولكل دولة الى جانب هذا النشاط العربى العام ان تبذل جهودها